

تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

يأتي هذا الكتاب ضمن مشروع تبناه مركز نهوض للدراسات والبحوث، يهدف إلى تقديم أهم الكتابات والأبحاث القانونية في الغرب للقارئ والمجتمع القانوني العربي. ويأتي هذا المشروع انطلاقاً من إيمان المركز بأهمية القانون المقارن، كونه -دون مبالغة- الأداة الوحيدة لدينا في العالم العربي للنهوض بفكرنا القانوني، وإصلاح أنظمتنا القانونية، والارتقاء بها من حالة الجمود والتراجع التي يعيشها العالم العربي. فبالمرآة التاريخية لعصر النهضة وبدايات نشأة المدرسة القانونية العربية الحديثة في بدايات القرن العشرين، يتضح بجلاءً أن الدراسات القانونية المقارنة واطلاعنا في العالم العربي عليها قد أسهم إسهاماً جوهرياً في بناء المدرسة القانونية العربية المعاصرة.

ولدراسات القانون المقارن أهمية عالمية، فمنذ المؤتمر الأول للقانون المقارن الذي عُقد عام ١٩٠٠ م في باريس، أصبح هناك مدرسة فكرية عالمياً معنية بدراسات القانون المقارن، من أمثال الفقيه الألماني كونراد زويغرت (Konrad Zweigert)، مؤلف كتاب "المدخل إلى القانون المقارن" الصادر عام ١٩٦٩-١٩٧١ م، بالتعاون مع الفقيه هاين كوتز (Hein Kotz)، الذي يُعدُّ من أهم المراجع الكلاسيكية في مجال القانون المقارن. حيث يؤمن الفقيهان بأهمية القانون المقارن، لسبب بسيط يتمثل في أن الغاية من القانون هي التفاعل مع مشاكل المجتمعات وحلّها، وهي مشاكل متشابهة عامة، ولا تختلف اختلافاً جذرياً من مجتمع إلى آخر في العالم، ومن ثمَّ تأتي أهمية دراسات القوانين المقارنة للاطلاع والاستفادة من تجارب الدول والأنظمة القانونية المختلفة.

ويعاني الواقع القانوني العربي مجموعةً من المعوقات التي تعيق تطوير الفكر القانوني العربي. ويتمثل أحد هذه المعوقات في انقطاعنا عن المتغيرات القانونية

والفكرية الحاصلة في المدارس القانونية الأخرى بشكل ممنهج، ولا يقلل هذا الواقع من شأن الدراسات والأبحاث القانونية المقارنة التي تزخر بها المكتبة العربية، ولكن هناك غياب للمشاريع البحثية المركزية لدراسات القوانين المقارنة. ومن ثم يأتي هذا المشروع الذي يهدف إلى الإسهام في سدّ هذه الثغرة، وإن كان بشكل محدود، ولكن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة.

ويأتي هذا الكتاب الذي نقدّمه للقارئ العربي ضمن سلسلة دار نشر جامعة أكسفورد بعنوان «الحقوق الأصيلّة» (Inalienable Rights)، التي يكتبها عدد من فقهاء القانون الأمريكي حول حقوق المواطن الأمريكي الدستورية، وتهدف السلسلة إلى تسليط الضوء على هذه الحقوق الدستورية في النظام القانوني الأمريكي، التي تُعدُّ فريدةً من نوعها، كما تتناول موضوعات وآراء خلافية تهدف إلى مناقشة هذه الحقوق مناقشة علمية وتشجيعها.

وقد اضطلع مركز نهوض للدراسات والبحوث بترجمة هذه السلسلة، لنقل هذه الكتابات المتميزة إلى المجتمع القانوني العربي دون إبداء رأي أو موقف محدّد حول ما تتضمنه. حيث يهدف المشروع إلى إطلاع الباحث القانوني العربي على هذه السلسلة، وتشجيع النقاش في الفقه القانوني العربي حول هذه الموضوعات، أملاً في الارتقاء بالحركة الفقهية القانونية العربية، لتتحوّل من مجرد مُستقبلٍ للأفكار إلى صانعٍ لها، ومشاركٍ في هذا الحراك القانوني العالمي.

ويتناول هذا الكتاب موقفَ المحكمة العليا الأمريكية في ظلّ الأجواء اللاحقة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م الإرهابية والمأساوية، وموقف الحقوق الدستورية أمام حالة الطوارئ في التعامل مع خطرٍ غير مسبوقٍ على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية. ومؤلف الكتاب هو البروفيسور والقاضي ريتشارد بوزنر، وهو من أعلام الفقه القانوني الأمريكي، خاصةً في دراسات التحليل الاقتصادي للقانون، وهو شخصية قانونية مرموقة في المجتمع القانوني الأمريكي. وبغض النظر عن الآراء التي تناولها المؤلف، وهي آراء سيرها بعض القراء

- بلا شكّ - مواقف قانونية متطرفة وردّة فعل على الهجمات المأساوية التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية، فقد رأى المركز أنه من باب الأمانة العلمية ترجمة السلسلة كاملةً دون استبعاد أي إصدار منها، لعدم ملاءمته لمبادئ المركز وأفكاره. ويُعدُّ هذا الكتاب - بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع ما ورد فيه - مثالاً جيداً على كيفية قيام المجتمعات المتقدّمة بمناقشة الأفكار وإن كانت أفكاراً منحرفةً أو تمثّل تعدياً على حقوق الأفراد، فمعارك الأفكار والحوارات الحضارية هي التي تُسهم في إنضاج المجتمعات. وتجدر الإشارة إلى أن المحكمة العليا في فترة لاحقة لإصدار هذا الكتاب قد أكّدت - من خلال مجموعة من الأحكام النوعية - على أهمية حقوق المواطنين والأفراد حتى في حالات الطوارئ القومية. إن هذا الحراك الفكري هو الذي نأمل أن يُسهم هذا المشروع وهذا الكتاب وغيره من إصدارات المركز في المجتمع والفقهاء القانوني العربي.

وفي الختام، فإنه يحدونا الأمل أن يحظى هذا الكتاب وغيره من الإصدارات القانونية بمباركة القارئ العزيز، وأن يقضي معه وقتاً ممتعاً، ويجد في قراءته علماً زاخراً.